البنـــاء
السنة السادسة / الجمعة / 11 تموز 2014 / العدد 1532
Sixth year / Friday / 11 July 2014 / Issue No. 1532

خيارات العدو الصهيونيّ الصعبة في عدوانه على غزة

■ حميدي العبدالله

قرّرت حكومة العدو الصهيوني في ظلّ الضغوط السياسية التي تعرّضت لها من داخل الائتلاف الحكومي، بعد إعلان وزير الخارجية أفيغدور ليبرمان فك التحالف مع الليكود، وتحت ضغوط المستوطنين الصهاينة،خصوصاً في المستوطنات القريبة من قطاع غزة، تحويل الاعتداء بالطائرات إلى عدوان عسكري واسع على القطاع لم تعرف بعد مراحله واستهدافاته وطبيعته، وهل يقتصر على القصف الجوي والمدفعي من مدفعية الميدان والدبابات، أم يتحول إلى هجوم بري؟

لكن هذا العدوان، شأنه مثل الاعتداءات السابقة، يضع حكومة العدو أمام الخيارات الصعبة، فإذا اقتصر العدوان على القصف الجوي والمدفعي، فإنّ حصيلته النهاية، سواء استمر أسبوعاً أو أكثر، تعريض مستوطنات العدو القريبة من القطاع، وربما مدن في عمق فلسطين المحتلة مثل «تل أبيب» وغيرها، إلى القصف وبالتالي الاضطرار إلى توقف المصانع وشلّ الحياة اليومية، ما يعرّض الكيان وحكومة العدو لضغوط لوقف العملية العسكرية، فالمستوطنون لم يألفوا مواجهة واقع يشبه الواقع الذي ينجم عن تعرض مدن ومستوطنات كثيرة للقصف، لفترة طويلة نسبياً. في هذه الحال ماذا تكون حكومة العدو قد حققت إذا عادت مجدّداً إلى تفاهم واتفاق تهدئة بواسطة الحكومة المصرية أو الحكومة التركية التي تفضلها حماس كوسيط بينها وبين الكيان الصهيوني؟ الأرجح أن ذلك سيرفع من مستوى الضغوط على حكومة نتنياهو التي بدأت مع قرار ليبرمان فك التحالف مع الليكود، ما يشير إلى أن العدوان الجديد لن يختلف عن الاعتداءات السابقة لناحية عدم تغيير المعادلات والحد من قدرات المقاومة، بل يكرّس على نحو قاطع انتهاء قدرة العدو الصهيوني على الردع التي كان يتباهى بها ماضياً.

أما إذا تحوّل هذا الاعتداء إلى اعتداء برّي، أي توغل القوات البرية لاحتلال القطاع أو أجزاء منه، فإن ذلك يكبّد جيش الاحتلال خسائر فادحة في الأرواح في المواجهات الالتحامية والمباشرة مع مقاتلي فصائل المقاومة، إضافة إلى الخسائر والضغوط الناجمة عن استهداف المدن والمستوطنات بالصواريخ. ثانياً، سوف تستغرق هذه العملية وقتاً طويلاً في ضوء النتائج التي أسفرت عنها محاولات التوغل البري في لبنان في عدوان تموز 2006، إذ استمر العدوان أكثر من شهر. ثالثاً، حتى لو تمكن جيش الاحتلال في النهاية من احتلال القطاع أو أجزاء منه، وهذا احتمال ضعيف، فإنه يشكل عودة جديدة للغوص في وحول القطاع الذي فشل العدو الصهيوني منذ عام 1967، عام احتلاله، حتى عام 2005، عام الانسحاب منه من طرف واحد، في ترويض مقاومته التي كبّدت جيش الاحتلال خسائر كبيرة ودفعت أحد قادته البارزين، اسحق رابين، إلى قوله المشهور «أنه ينام ويحلم بأن يفيق ويكون البحر قد ابتلع قطاع غزة».

هكذا يبدو واضحاً أنّ عدوان الكيان الجديد على قطاع غزة لن يختلف عن مصير الاعتداءات السابقة، بل سيقود على الأرجح إلى نتيجتين مهمّتين:

الأولى، تعاظم مأزق الكيان الصهيوني.

الثانية، تعاظم فاعلية قوة الردع لدى فصائل المقاومة.

ميزان النصر

■ طارق الأحمد

بين فيض التحليل السياسي وتيه المآل، يقف القلم حائراً بين العلامات الموسيقية فيرتاح غالباً حيثما تكون السكتات. وكي لا نستمرّ في جلد القارئ بالربيع والمؤامرة و«داعش» وغيرها والمنقلب، لعلّنا نقف عند ثابت النصر وتحوّلاته:

أولاً: ثابت النصر هو فعل إيمان ولا ينطلق بالضرورة من التحليل الظاهر ومعطياته. وهو نهج عقلي عميق وقع عديد من المثقفين (لا أحب هذا المصطلح في تيه المعطيات التي آلت بهم الى الشك في الثوابت حين عجزوا عن تحليل ما يجري لضعف إيمانهم، فارتاحوا إلى التحوّل العقائدي وأصبحتَ تجد أكثر اليساريين مثلاً في مقدم دعاة التديّن السياسي، مع خلق كلّ تبرير للحالة الجديدة وجلد المخالفين لهم لكونهم «من أنصار الديكتاتوريات» مثلاً، بقدر ما كانوا يفعلون وهم في المقلب الأول. والدليل على استخدامنا تعبير «ثابت النصر هو فعل إيمان» هو استخدام علمي دقيق، فهذا الايمان معزّز ببعد النظر وشمول المشهد مهما تكن الخطوب عظيمة، وهو مستند بالضرورة إلى قاعدة علمية ومنطقية عميقة في التفكير لا تأخذها التحوّلات، وهي تهيّئ نفسها لأصعب هذه الخطوب ولا تنتظر السهل منها، لذا فإنّ أول ما يتمّ تحويله عند قصور العلم (لدى المتعلم) هو العقيدة...

ثانياً: المتحوِّلات في النصر عديدة وكثيرة وتخضع للتحليل وتستوجب البحث والبيان على نحو دائم ومتطوِّر، فالفعل الثابت الأولي وهو الإيمان لا يجب أن يغنينا البتة عن بحث تحوّلات النصر وكيفية تحقيقه في زمن أقلّ وبكلفة أقلّ، وهو عدا ذلك ممكن بمواصفات متغيّرة. وهنا السؤال الكبير الذي لا أعتقد أنه سيقف عند حدّ من التوصيف: ما هو ميزان النصر؟ وهل هو ميزان بسيط بكفّتين أم هو مآل معقّد ومتشعّب ويشبه دوزان الآلات الموسيقية في أوركسترا شاملة؟ أعتقد أنّ الثانية صحيحة إذ لا تقف عند حد.

لنتساءل عن معنى نصر مكتوب في التاريخ يعيه العثمانيون أو المسلمون أو أي تسمية أخرى، لا فرق، بفتح القسطنطينية، إذ قابله تفريغ هذه البقعة الجغرافية المفصلية في العالم القديم من فلاسفتها وعلمائها ومخترعيها، الخ، منتقلين إلى إيطاليا وعمق أوروبا، ثم ليبدأ الطرف الآخر (المهزوم) برحلته في ركاب العلم والفلسفة ليجترح بعد ذلك نهضته الفكرية ثم ثورته الصناعية ويغرق في المقابل الطرف (المنتصر عسكريا) في دوامة من التجهيل المتسلسل وتفريغ كلّ بقعة جغرافية تطأها أقدام هذا المنتصر من محتواها الفكري، بعدما غصّت منطقتنا بخلاصات الفكر الإنساني الذي وُلد الكثير منه في سورية، وذلك القادم من الشرق وأقصى الشرق واليونان، ليتلاقح معه منتجاً قمة التطوير الفكري في حقبة من الزمن.

ثمّ نجد العالم القديم أمام صراع بين جهتين سُمّيت الأولى إسلامية وهي السلطنة العثمانية، والأخرى مسيحية، وقُصد بها الغرب الأوروبي، فكانت الأولى تتقدم عسكرياً بقوة عطالة كلّ ما استولت عليه من أرصدة القوة، ولن أسهب في الشرح هنا لأنه ليس بحثاً تاريخياً. بينما تلقفت الأخرى خلاصة عصر التنوير من منطقة الأولى رغم تراجعها العسكري أمام هذه آنذاك، وبعد قرون بسيطة انقلب المشهد بهزيمة الأولى واستمرار مسار منطقة الشرق كلّها في اتجاه التجهيل المستمرّ، فهي لا تستطيع البتة دخول عصر النهضة والتنوير، وكلّ محاولة لذلك ترتدُّ مزيداً من التجهيل، إذ لا تكاد تفرغ من مساحة زمنية يتمّ فيها ترصيد بعض النهضة حتى يفشل المشروع طارداً المشروع كلّه ومنكّلاً برموزه ومرتكزات انطلاقه.

ثمة في المقابل حالة تاريخية أخرى تدعو الى التأمّل وهي خلاصات الحرب العالمية الثانية، فهل ألمانيا واليابان هما المهزومتان؟ وبأيّ قدر هما كذلك؟ أو هل أنهما خسرتا حرب العسكرة وربحتا حرب النهضة؟ أترك السؤال مفتوحاً، لكني معنيّ بذكر مشهد ألماني واحد لافت أثناء الحرب العالمية الثانية هو قيام عمال وإدارة مصنع كارل زايتز الألمانية الأكثر تقدماً في العالم منذ ذلك الوقت الى الآن بسرقة معدات ووثائق صناعة العدسات وإخفائها في بيوتهم الخاصة، خوفاً من ترحيلها واكتشاف تقنياتها عند دخول جيوش الحلفاء ثم إعادتها بعد ذلك، ولا أريد سوى هنيهة من التأمل أمام ما حصل ويحصل مع الصناعة السورية بأيدينا نحن، لبنية فاقت المئة وثلاث عشرة ألف منشأة صناعية سورية لمعرفة أحد موازين النصر في تحدّي إعادتها وتطويرها.

تعرّضت سورية دفعة واحدة لخلاصة الحروب التي خيضت خلال الأزمنة السابقة على شكل جبهات فُتحت كلّها دفعةً واحدة مع فوارق زمنية بسيطة، فمع ما سُمّي بـ«الربيع العربي» فُتحت جبهة التاريخ، وفُتحت أخيراً الجبهة الجيوستراتيجية للمنطقة كلّها مع هجوم «داعش» الأخير وتركيب المشروع الذي بدأه بول بريمر بعد احتلال العراق على هذه الخواتيم لما بدأ تسميته بـ«الربيع العربي» مع التناقض الواضح في الطروحات والأدوات بين المشروعين، بما يعني تماماً أنّ كلّ ما شاهده المتفرّجون من عناصر إثارة وتشويق وتراجيديا في المسرحية «الربيعية» سوف يكتشفون أسبابه في تلك الخاتمة، ولذلك علينا نحن أيضاً أن نبيِّن للمشاهدين أنفسهم وهم عناصر المسرحية أنّ كلّ مفصل من مفاصلها كان واضحاً لنا على الأقلّ، مع فرق جوهري هو أننا لا نزال نفرّق بين تيه التحليل وضرورة امتلاك المشروع.

من لا يتذكر بأنّ مفاعيل نصر تموز 2006 حملت مشهداً في سوق شعبية مصريّة يتم فيها تغيير اسم إحدى الأكلات الرمضانية المشهورة لتسمّى باسم «نصرالله»، أو من يقلل من أهمية مشهد كهذا بمعناه النفسي والشعبي فنحيله على مشهد آخر غيّرت فيه قوى تعمل بإدارة مراكز أبحاث أميركية اسم البطاطا المقلية المشهورة من «فرينش فراين» الى اسم آخر بعد احتلال العراق عام 2003، ووقوف فرنسا جاك شيراك الرسمية آنذاك ضدّ العدوان. والدليل أنّ الأثر النفسي لمعاني النصر في الحروب على الشعوب هي التي توطئ الأرضية لتركيب حوامل النصر، وعندما يمارس الشعب فعل المفاخرة بهذا النصر أو ذاك مثلما حصل في مصر بعد 2006 أيضاً في مشهد رفع صور السيد نصرالله داخل الجامع الأزهر إنّما يدلل على شراكته في هذا النصر. لذا علينا أن نسأل أنفسنا عن مستوى الحوار الذي أدرناه قبل انتصاراتنا وبعدها لتركيب حوامل النصر، وكم ربحنا، وكم خسرنا في هذه التراكيب، خاصة أننا دخلنا فعلياً في حرب شرسة مع الإرهاب في سورية حوّلت مدننا وقرانا الى جبهات، لكنها حوّلت أكثر فأكثر العديد من شبّاننا الى مقاتلين. الثابت مرّةً أخرى في كفاحهم أنه دمٌ غالٍ يُدفع ثمناً لقضية غالية وعادلة، والمتحوِّل فيه هو أنّ حقَّ هذا الدم علّينا هو أن يكون لدينا الحامل النهضوي الكافي لاستيعاب هذا النصر وتمكين الأدوات الصحيحة فيه لنمذجة كلّ مشهد من مشاهدنا على امتداد الجغرافيا واتساعها على أفضل ما كان لدينا وبأيدينا ومن أدواتنا، وهو مشهد الانسحاب «الإسرائيلي» من الجنوب اللبناني عام 2000، فكم نحن قادرون على ذلك وكم هي أهميته في بناء المجتمع وترميمه، وهل يمكن أن نسمح ببقاء نموذج هذا التعامل الحضاري والأداء الرفيع وغير المسبوق مع قرى الجنوب وأهاليها الذين بقوا لأكثر من عقدين تحت الاحتلال وعملائه، حبساً للتغني التاريخي، أم أنّ علينا تعميمه ليكون نموذجاً لتعاطينا على امتداد الكيلومترات التي نبسط سلطة الدولة عليها تباعاً والتي ستؤسّس للعيش المستقبلي بين الأهالي وتؤسّس الحامل لمرحلة البناء بأيدي الجميع. وهل يمكن أن نقبل بمشاهد وحوادث تسيء إلى نصرنا وتنغّص علينا بهجته، وكل قارئ لهذي السطور يعرف أكثر مني عن الحوادث التي لا يمكن لمصطاد في الماء العكر أن يقلل انطلاقاً منها أو استناداً إليها من حجم التضحيات أو أحقية المعركة، لكن الأوْلى بنا نحن، ونحن أصحاب المشروع، أن نبادر الى تقويمها ونمذجتها مع أفضل ما لدينا، وهو عظيم.

المتحوّل المحتمل الآخر في ميزان النصر يتعلّق بالفكر، فالحرب التي شنت علينا استخدمت الكثير من أبنائنا الذين غفلنا نحن عن حجم المتغيّر في عصر الصورة والتطور التقني ونحن تركناهم نهباً للحركات المنتمية إلى عصر ما قبل الدولة، ولذلك يجب أن ننتصر بمشروع نهضوي جديد وعصري يجيب عن أسئلتهم هم لا نحن فحسب، وبلغة العصر التي يريدونها هم لا نحن، ولذلك علينا في سائر البنى السياسية المتحالفة ضمن محور المقاومة أن نفتح الحوار العقلي عالي المستوى لبحث حوامل جديدة وعصرية تكرس إيماننا الثابت الذي تحدثنا عنه وتعززه وتؤمّن في الوقت نفسه الحاجات الجديدة لهذا الشباب المنتصر، فالمشروع الآخر كبير وحربه المفتوحة معنا طويلة وأدواته كثيرة ومتعددة ولا بدّ لنا من أن نفعّل قوانا لكي نطوّر أدوات المجابهة.

maizoon@gmail.com

ثغور الدفرسوار الإرهابية لتفجير إيران من الداخل

■ محمد أحمد الروسان*

السيّد جون برينان، مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، والذي عمل سنين عديدة في السعودية مديراً لمركز الاستخبارات الأميركية فيها، ومعه بعض زملائه الذين يعمل بعضهم في عمان اليوم، هو صاحب مدرسة «عتبة الوقت» كمعيار لتبيان الخيط الأبيض من الأسود في العمل الاستخباري، ويجهد ناشطاً هذه الآونة بالتنسيق مع رئيس مجمّع الاستخبارات الفدرالي الأميركي، وبعض الأدوات الأميركية المستحدثة في المنطقة، لخلق نسخة متقدمة لمذهبية استخبارية جديدة في الولايات المتحدة الأميركية، تم البدء في مأسستها لحظة تسلّم منصبه بديلاً من الجنرال ديفيد بترايوس، والأخير أطيح بفضيحة نسائية حمراء في المجتمع المخملي عبر جنين الحكومة الأممية (البلدربيرغ) انحيازاً إلى طرف سياسي ضد آخر في الداخل «الولاياتي» الأميركي. تهدف هذه المذهبية التي يراد خلقها أو تخليقها الى دفع شبكات الاستخبارات الأميركية المتعددة إلى تغيير أسلوبها الحالي واستبداله بأسلوب مستحدث جديد يقوم على مفهوم «الاستخبارات الانتقائية».

بعبارة أكثر وضوحاً، أي إعداد التقارير الاستخبارية التي تعتمد الوقائع والأدلة الداعمة لتوجهات الإدارة الأميركية الراهنة والمقبلة، أيّاً تكن، جمهورية أو ديمقراطية، وفقاً لما أطلق عليه المحافظون الجدد، أنبياء القرن الحادي والعشرين «التقارير المواتية» التي تتيح تعزيز رؤية، القيادة السياسية الأميركية وطموحاتها وتطلعاتها، ومن ورائها «الأيباك» «الإسرائيلي» الصهيوني حيال الملف السوري بتشعباته، معزّزاً بالملف العراقي عبر «الدواعش» والفواحش وارتباطاتهما بالساحة اللبنانية، وازاء الملف الإيراني، ومجالاته الحيوية تحديداً، مع اشتباكات استخبارية انتقائية جديدة، في ملفات باكستان، الهند، أفغانستان، آسيا الوسطى، إلخ.

تلعب التقارير الاستخبارية، ذات العلاقة بالتخمينات والمؤشرات وتقديرات المواقف السياسية دوراً رئيسياً ومهمّاً في صناعة القرار أولاً، ومع نهايات الثواني والدقائق الأخيرة الحاسمة، وقبل صدور القرار، مع ما تؤكده معطيات الخبرة العملية، لعملية صناعة واتخاذ القرار الاستراتيجي فكثيراً ما تتضارب التقارير الاستخبارية، مع توجهات القيادة السياسية، وخير مثال على ذلك التطورات التي شملت خلق الذرائع ضد سورية وعلى أساس بنك الذرائع المصنوعة في مطابخ الأطراف الخارجية، ومنها افتراض وجود برنامج نووي سوري بالتعاون مع كوريا الشمالية وإيران، وفي حال فشلت عملية التوقيع على جنيف إيران يصار الى تكوين ملف خاص حول مسارات التعاون والتنسيق النووية بين الدول الثلاث وإحالته على مجلس الأمن الدولي، مع تصعيد للحدث السوري خارجياً وداخلياً ومحاولات جديدة ذات أداة إقليمية لإنشاء منطقة عازلة على الحدود التركية – السورية و/ أو في الجنوب السوري، على رغم تقدم الجيش العربي السوري بسياسة القضم العسكري لاستعادة الجغرافيا السورية من سيطرة «الزومبيات» الإرهابية بمختلف نسخها وماركاتها وأماكن صنعها وإنتاجها، كذلك مشروع الضربة العسكرية ضد إيران، وهي من أبرز النماذج الراهنة لتضارب التقارير الاستخبارية، مع توجهات القيادة السياسية.

تتحدث المعلومات عن أنّ ثمة حرباً باردة طاحنة، بين شبكات الاستخبارات «الإسرائيلية» من ناحية، وشبكات ووكالات الاستخبارات الأميركية من ناحية أخرى، والمنضوية ضمن مجمّع الاستخبارات، حيال الملفين السوري والإيراني إلى جانب الملف العراقي، رغم نقاط التوافقات والتساوقات الكثيرة بينهم والمعلنة للجميع.

تؤكد معلومات الخبراء على أن الحرب الباردة بين الاستخبارات العبرية والأميركية يصعب التكهن بنتائجها بسبب الروابط السياسية الوثيقة بين النخب السياسية «الإسرائيلية» والنخب السياسية الأميركية، وعلى رغم محاولات مستميتة للكيان العبري سابقاً وحاليا، للقيام بعملية تغلغل شاملة داخل أجهزة الاستخبارات الأميركية، لبناء: لوبي «إسرائيلي» استخباري نوعي داخل مفاصل أجهزة الاستخبارات الأميركية، إلا أنها لم تستطع حتّى اللحظة تحقيق هذا الهدف فوق الاستراتيجي بحسب الخبراء الاستخباريين الأمميين، ما دفع شبكات الاستخبارات العبرية، وفي مقدمها «الموساد» الى استخدام عناصر بشرية موثوقة من «الأيباك»، والمعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي، لمنافسة شبكات استخبارات العاصمة الأميركية واشنطن دي سي على إحدى أدواتها في الداخل الإيراني وأقصد منظمة مجاهدي خلق الإيرانية، أو «المنافقون» بحسب التعبير الإيراني الرسمي، وكذلك منظمة جند الله الإيرانية.

تعمل الولايات المتحدة الأميركية والقوى الغربية بقوّة على نشر الفتن وإحداث صراع إيراني – إيراني داخلي وتعميقه، وتدفع بعض الأدوات الغربية والأميركية، في الداخل الإيراني، شعارات معادية للنظام عامة بشكل عام، ولثوابت الثورة الإسلامية الإيرانية خاصة، لإطاحة حكم الثورة الإسلامية واستبداله بنظام علماني – ليبرالي على غرار الأنظمة الرأسمالية الغربية.

وفي ظني وتقديري أنّ القوى السياسية الإيرانية المعارضة، تتميّز بالضعف لاعتمادها على الدعم الأميركي، فضلاً عن عدم تمتعها بالدعم والسند الشعبي الداخلي، ما جعل هذه القوى مجرد حركات موجودة في الخارج وبعض العواصم الأجنبية. ولو حاولنا استقراء ملامح خريطة طريق الصراع الإيراني – الإيراني الذي تعمل واشنطن على إنتاجه وتسويقه، عبر شبكات استخباراتها وأدواتها، إن لجهة الداخل الإيراني أو لجهة الخارج الإيراني، لوجدنا أنّ الحركات الإيرانية الدينية ظلّت أكثر ميلاً إلى العمل ضمن ثوابت الثورة الإسلامية الإيرانية. أمّا الحركات العلمانية اليسارية والليبرالية والقومية فبقيت عملياً خارج دائرة الصراع والتنافس وهي موجودة شكليّاً ولا تتمتع بأي وجود عملي ميداني وحقيقي. ورغم ذلك ستبقى هذه الحركات مصدراً للخطر على النسق الإيراني الثيوقراطي إذا تحوّل التيار الإصلاحي في اتجاه الانضمام والتحالف معها.

أحسب أنّ القوّات الأميركية الاحتلالية العائدة إلى العراق عبر ملف «الدواعش»، والتي يراد لها البقاء أميركياً عبر تفعيل وجودها ووكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، سوف تواصل الاستعانة بعناصر زمرة «منظمة خلق» لشن العمليات السريّة ضد إيران وبحزب «بيجاك» الكردي في شمال غرب إيران.

تقول المعلومات إنّه بعد الاحتلال الأميركي للعراق جمعت واشنطن وعبر وكالة استخباراتها المركزية والبنتاغون، بالتنسيق مع قيادة القوات الأميركية الموجودة في العراق، عناصر حركة «مجاهدي خلق» على مقربة من الحدود العراقية ـ الإيرانية وضمن معسكرين، وتبع ذلك قيام تلك الجماعة بالعديد من العمليات السرية والاستخبارية المشتركة مع عناصر وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية والموساد «الإسرائيلي» والقوّات الخاصة الأميركية داخل الأراضي الإيرانية.

بات واضحاً للعيان أنّ حركة «مجاهدي خلق» الإيرانية تخلّت عن عدائها للغرب بعد سقوط الاتحاد السوفياتي وانخرطت عميقاً في تحالف مع الإدارات الأميركية ومضت قدماً في تحالفاتها الغربية، خاصةً مع الاستخبارات الفرنسية والبريطانية (إم أي سكس) والكندية والألمانية، على نحو أدّى الى انخراطها في تحالفات مع كل من يعادي النظام الإيراني. وفي نهاية المطاف وجدت هذه الزمرة نفسها(منظمة خلق) واقعة في أحضان وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، تمارس «الجنس الجماعي» الأمني معها، ومع جهاز «الموساد الإسرائيلي» ومنظمات اللوبي «الإسرائيلي» مثل «الأيباك»، و«المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي» ولجان الكونغرس الأميركي ومنتديات ومراكز دراسات ومنظمات جماعة المحافظين الجدد.

إن علاقات منظمة «مجاهدي خلق»، بجهاز «الموساد الإسرائيلي»، تعود إلى زمن بعيد، فهناك شبكة استخبارية تابعة لـ«الموساد»، تعمل داخل إيران والعراق وتتكون عناصرها حصراً، من منظمة «خلق» الإيرانية برئاسة مريم رجوي، وتقوم هذه الشبكة المكونة من شبكة جواسيس عنقودية (لا يعرف الجاسوس زميله في الشبكة ذاتها، يجمع المعلومات الاستخبارية فائقة الحساسية داخل إيران والعراق معاً حول الأوضاع الاقتصادية والسياسية، والاجتماعية والعسكرية والتكنولوجية الأمنية، وتقديمها إلى «الموساد الإسرائيلي»، وعبر محطة «الموساد» الموجودة في مدينة الدهوك حيث يستأجر «الموساد» مبنى تابعاً لأحد الفنادق التي يملكها القائد الكردي البرازاني مسعود ابن الملا مصطفى.

تقول المعلومات، إنّ شبكات الاستخبارات «الإسرائيلية»، لا سيما «الموساد» و«وحدة أمان» و«الشين بيت» و«الشاباك»، تسهر على تدريب عناصر «مجاهدي خلق» من الجنسين في مجالات: الاغتيالات السياسية التي تستهدف القادة الإيرانيين بما فيهم العلماء أيضاً، وعمليات تخريب البنى التحتية التي تستهدف الجسور والمرافق الاستراتيجية الإيرانية، مثل محطات توليد الكهرباء وخزّانات الوقود ومراكز الاتصالات وشن عمليات الحرب النفسية، مستهدفةً زعزعة الشارع الإيراني، وتفتيت تماسك الجبهة الداخلية الإيرانية وتخريب الاقتصاد الإيراني عبر نشر أوراق العملات المزورة وتخريب المزروعات وحرق مخزونات الحبوب والأغذية الاستراتيجية، والعمل على تجميع الحركات الإيرانية المعارضة وتقديم الدعم المالي والعسكري واللوجستي والتدريبي إليها على نحو سري، ومن غير اطلاعها على حقيقة أنّ هذا الدعم مصدره «إسرائيل»، وزرع أجهزة التجسس الإلكترونية المرتبطة بالأقمار التجسسية الاصطناعية لمساعدة «تل أبيب» والبنتاغون ووكالة الاستخبارات المركزية الأميركية في تحديد أماكن ومواقع وإحداثيات تلك المرافق الآنف ذكرها، ليصار الى ضربها، خصوصاً المنشآت النووية والعسكرية والأمنية الاستخبارية التابعة لمؤسسة الحرس الثوري الإيراني، في لحظة الخيار صفر وفي حال فشل جنيف إيران النووي أميركياً.

> جهاز الاستخبارات الإيراني الذي يتميّز بقدرات تقنية عالية استطاع تفكيك إحدى الشبكات العنقودية الاستخبارية المعادية العاملة في الداخل الإيراني والتي تملك قاعدة بيانات ومعلومات (DATA) من شأنها التأثير في الأمن القومي الإيراني

إذن، مستقبل العلاقات التكتيكية والاستراتيجية بين منظمة «مجاهدي خلق» الإيرانية والإدارة الأميركية، أي إدارة، بات يمرّ عبر قناة «الموساد». وهذه العلاقة سوف تطول وتتطور فلا النسق الثيوقراطي الإيراني سوف يسقط بواسطة «مجاهدي خلق» تحديداً أو غيرها. ولا واشنطن و«تل أبيب» قادرتان على تفادي الخسائر الهائلة والعواقب الوخيمة من ارتكابهما حماقة ضرب إيران. وما على عناصر هذه الزمرة، زمرة مريم رجوي، إلاّ الاستمرار في تقديم المعلومات الاستخبارية لـ«الموساد» كشرط أساسي وضروري لحصولهم على الطعام والكساء من أميركا. وتتميز جماعة «جند الله» الإيرانية بتحركاتها العابرة للحدود الإيرانية ـ الباكستانية (منطقة بلوشيستان الباكستانية ومنطقة بلوشيستان الإيرانية) والحدود الإيرانية ـ الأفغانية (منطقة بلوشيستان الأفغانية وبلوشيستان الإيرانية) والحدود الأفغانية ـ الباكستانية (منطقة بلوشيستان الباكستانية ومنطقة بلوشيستان الأفغانية). وتذهب معلومات الاستخبارات الدولية والإقليمية الناشطة والراصدة في منطقة الشرق الأوسط إلى أنّ هذا التنظيم السلفي السنيّ المتشدد يتلقى دعماً مادياً كبيراً من بعض الجمعيات والتنظيمات التطوعية الدينية السلفية الوهّابية، بخاصة من المنظمات الخليجية المختلفة والمنظمات الباكستانية المرتبطة به، وأضحت له علاقات مع «الدواعش» في الداخل العراقي عبر القناة السعودية بضغط أميركي.

كما تتحدث تقارير استخبارية خاصة، عن أنّ ادارة الرئيس باراك أوباما تعمل على استراتيجية تقويض استقرار الأمن الداخلي الإيراني عبر مخططات وضعت وفق سياقات عمل ميدانية جديدة، للمجمّع الفيديرالي الأمني الأميركي، إذ تنظر الولايات المتحدة الأميركية و«إسرائيل» الى جماعة «جند الله» الإيرانية كأداة رئيسية متقدمة وورقة ضغط فاعلة لتنفيذ استراتيجية محور واشنطن – «تل أبيب»، وتوافقت وتساوقت الاستخبارات البريطانية وبعض أجهزة استخبارات دول الاتحاد الأوروبي مع رؤى إدارة الرئيس أوباما وفق منهج استراتيجية التدرج في تنفيذ استراتيجية تقويض استقرار الأمن الداخلي الإيراني، مع الرهان على الطبقة الوسطى في المجتمع الإيراني عامة، لإحداث التغيير المطلوب، فللطبقة الوسطى في إيران آفاق سياسية خلاّقة.

كما أن ثمة سعياً محموماً لأجهزة استخبارية دولية وإقليمية لدعم هذا التنظيم الإيراني سالف الذكر، فالـ«سي أي إيه» يقع عليها العبء الرئيس في دعم هذه الجماعة إن عبر الأراضي الباكستانية أو الأراضي الأفغانية أو عبر مراكز الاستخبارات الأميركية في مناطق جنوب آسيا (الباكستان – أفغانستان – الهند)، أو في آسيا الوسطى (أوزبكستان – قيرغيزستان) أو في منطقة الخليج (سلطنة عمان – دبي ـ العراق...) وحتّى الاستخبارات الهندية – على ما تؤكد المعلومات – متورطة في دعم تنظيم «جند الله» الإيراني، طالما أنّ الاستخبارات الهندية مرتبطة بالمزيد من علاقات التعاون والتفاهمات المتبادلة مع الاستخبارات الأميركية و«الإسرائيلية»، وذلك كله لتفعيل وتحفيز وتأطير برامج ودعم قدرات تنظيم «جند الله» والعمل على استنساخات تنظيمية أخرى من تنظيم «جند الله» الإيراني السنيّ وإشراك أطراف شيعية عربية وإيرانية فيه، ليصار الى جعله تنظيماً إقليمياً ذا أدوات شعبوية في الداخل الإيراني، خصوصاً من الطبقة الوسطى المثقفة في المجتمع الإيراني والدولة الإيرانية.

كما تتحدث المعلومات الاستخباراتية عن إنشاء وحدة استطلاعات استخبارية في هذا التنظيم، تعمل في الداخل الإيراني، وتُرفد بالموارد البشرية، الخبيرة في العمل الاستخباريّ، ولها صلات بالمافيا الدولية، كما دعمت بأجهزة ومعدات تجسسية فائقة الدقة والعمل مربوطة بالأقمار الاصطناعية التجسسية الأميركية العاملة فوق إيران وفوق جزيرة العرب، والموصولة أيضاً بآخر قمر تجسسي عبري – «إسرائيلي»، أطلق مع بدء ما سميّ بـ«الربيع العربي» من «إسرائيل»، وهذا الربط ذو شيفرات تجسسية محدّدة يصعب اكتشافها وبالتالي فكها.

من ناحية أخرى، تقدّم شبكات الاستخبارات «الإسرائيلية» (وحدة آمان – الموساد – الشاباك – استخبارات وزارة الخارجية. والوحدات الفرعية الأخرى) الدعم المطلوب واللازم الى جماعة «جند الله»، وحصل ذلك في البداية عبر غطاء الاستخبارات الأميركية، ثم سعت على نحو مستقل الى بناء المزيد من الروابط وعرى التعاون والتنسيق الأمني الحثيث المباشر مع مسؤول التنظيم الذي أعدم قبل سنوات قليلة، وتتحدث المعلومات الاستخبارية ذات الصدقية راهناً عن أنّ مجتمع الاستخبارات «الإسرائيلي» وعبر جهاز «الموساد» يعمل على تعزيز الروابط السابقة وبناء الجديد المباشر منها مع مجاميع بشرية من عائلة ريغي الإيرانية لإعادة بناء التنظيم وفق أسس عمليات استخبارية متطورة، مع تعميق و«تحديث» في عقيدة بنائه وعمله، ومع دعم وحدة الاستطلاعات الاستخبارية، التي أنشئت داخل هياكل هذا التنظيم السلفي المتشدد، لجعله يعمل وفق أجندات محور واشنطن – «تل أبيب» في المنطقة، لا سيما لجهة الداخل الإيراني المتماسك حتّى اللحظة.

من أهداف دعم منظمة «جند الله» أيضاً ضرب حركة التجارة الإيرانية مع الباكستان عبر بحر العرب، فتكون هذه المنظمة الارهابية بمثابة قاعدة عسكرية – استخبارية متقدمة ذات أدوات شعبوية عميقة لأي قوى عسكرية خارجية في حال استهداف إيران الدولة الإسلامية الجارة بسبب تداعيات برنامجها النووي ودورها الاستراتيجي ومجالها الحيوي وصراعها مع الولايات المتحدة الأميركية والغرب على آسيا الوسطى – القوقاز الجنوبي.

تؤكد المعلومات المرصودة أنّ شبكات الاستخبارية الخاصة بمحور واشنطن – «تل أبيب» التي تستهدف الجميع وفي مقدمهم إيران، تنهج نهجاً مختلفاً في خلق العملاء والجواسيس واستخدامهم، من خلال ما يعرف بعلم الاستخبار، الشبكات العنقودية، لمزيد من السريّة المطلقة وللحفاظ على العناصر البشرية المستخدمة التي تم أُهّلت كأدوات استخبارية ثمينة، بحيث لا يعرف أي عنصر في هذه الشبكات العنقودية أي زميل (جاسوس) آخر له في الشبكة ذاتها وضمن تكوينها البشري الاستخباري.

تذهب المعلومات نفسها إلى أنّ جهاز الاستخبارات الإيراني الذي يتميّز بالحس الاستخباري العالي التقني استطاع تفكيك إحدى الشبكات العنقودية الاستخبارية العاملة في الداخل الإيراني والتي تملك قاعدة بيانات ومعلومات (DATA) من شأنها التأثير في الأمن القومي الإيراني، وهذه الشبكة العنقودية تابعة لمحور الخراب في المنطقة، المحور العبري ـ الأميركي ـ وبعض عربي، إذ كُشف من يقف وراء اغتيال العلماء الإيرانيين المسلمين.

تشير المعلومات كذلك إلى أنّ ما فعلته الاستخبارات الإيرانية كان بمثابة الصدمة التي لم تستوعبها أجهزة الاستخبارات الأميركية و«الإسرائيلية» إذ كُشفت إحدى الشبكات الذهبية الاستخبارية العنقودية العاملة في الداخل الإيراني، والتي يصعب اكتشافها، ما قّوض عمل شبكات الاستخبار الأخرى «الساكنة» التي لم تكشف بعد في الداخل والخارج الإيرانيين، وتحديداً في دول الجوار الإيراني الإقليمي.

تفيد المعلومات أيضاً بأن الاستخبارات الإيرانية، وعبر عمليات استخبارية داخلية دقيقة، وخارجية تعاونية وذات تنسيق أمني صادق وعميق مع جهاز استخبارات إقليمي غير عربي وبمشاركة من الفرع الخارجي لجهاز استخبارات حزب الله، استطاعت كشف تلك الشبكة وما تحوزه من معلومات وأجهزة تجسس ذات تقنيات عالية مربوطة بالأقمار الاصطناعية التجسسية التي تزخر بها سماء إيران، والشرق الأوسط.

تشي المعلومات المنشورة في وسائل الإعلام الدولية، وذات الصلة الخفية والعلنية بأجهزة استخبارات تعمل مع محور واشنطن – «تل أبيب»، أنّ «الموساد» بالتنسيق مع أجهزة – C.I.A F.B.I – M.I.6 استغلت بعض الدول الأوروبية وغير الأوروبية وبعض دول الجوار الإيراني – الإقليمي، وساحة إقليم كردستان العراق أيضاً للنفاذ إلى الداخل الإيراني وتنفيذ مسلسل اغتيالات العلماء الإيرانيين المسلمين في الفترة الأخيرة.

وثمة معلومات، استخبارية شبه مؤكدة تقول بأنّ طهران قرّرت نتيجة الاستهداف الأميركي – «الاسرائيلي» لأمنها القومي وعبر ملف الحدث السوري الذي يستهدف طهران ودمشق ولبنان معاً والمنطقة بكاملها من خلال تحويل لبنان مجدداً الى ثغور (دفرسوار) عنفي، أرسلت للمرة الثالثة أو الرابعة بعض قطع البحرية الحربية الإيرانية إلى المياه الدولية في البحر الأحمر، عبر قناة السويس للتمركز في المناطق البحرية المطلة على شواطىء شرق البحر الأبيض المتوسط، ومن شأن ذلك جعل الدولة العبرية على المستوى السياسي والاستخباري، الأمني والعسكري، مستنفرة، وساق، وينطوي الأمر على قدر أكبر من الأخطار. وتشي المعلومات المرصودة عبر مجاميع استخبارات دولية تعمل في الداخل «الإسرائيلي»، بأنّ «تل أبيب» تضع احتمال تمركز تلك القطع الحربية الإيرانية في منطقة شرق المتوسط وعبر موقعين، الأول قبالة شواطىء جنوب لبنان، ومن شأن ذلك أن يشكل تهديداً عسكرياً بحرياً مباشراً لأمن مناطق شمال «إسرائيل»، والثاني قبالة شواطىء قطاع غزّة المحتل، ومن شأنه أيضاً أن يشكل تهديداً عسكرياً مباشراً، لأمن مناطق جنوب غزّة المحتلّة.

* محام، عضو المكتب السياسيّ للحركة الشعبية الأردنية
www.roussanlegal.0pi.com
mohd__ahamd2003@yahoo.com